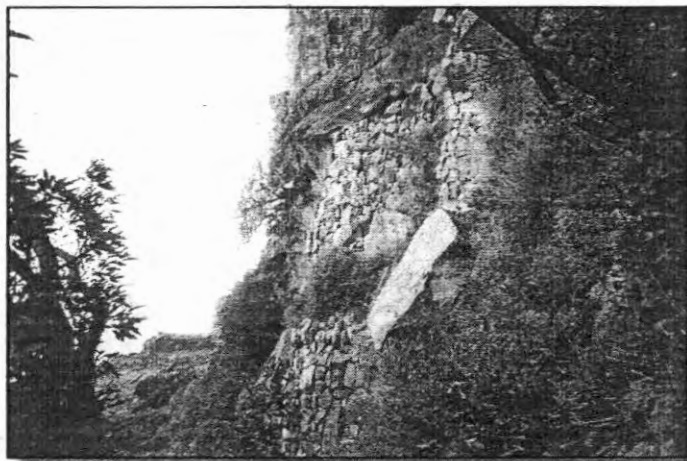
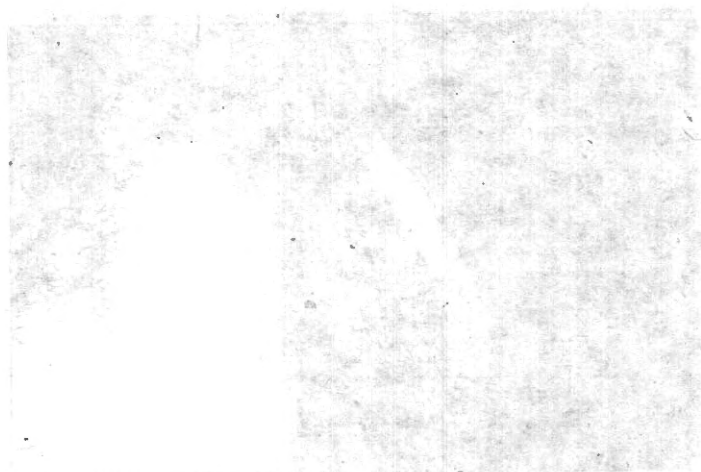


الفصل السادس

حاتم الطائي ..

الذي أضاع كرمه .. شعره !





1957-58-59

1957-58-59

1957-58-59

قال.. وعلى وجهه ابتسامة متعبة: بعد قليل نصل إليه..
كنا تركنا مدينة حائل خلفنا على طريق طويل يتلوى بشكل شعباني أحياناً..
وكانت خلفية المشهد ملأى بالجبال الشاهقة التى أشار إليها لاحقاً:
كل هذه الجبال.. هى سلسلة جبل أجا..

وبعد قليل أشار إلى جبل أسود ضخم فى مواجهتنا وهو يقول بما يشبه
الاعتزاز:

هذا هو الجبل الأسمر.. وكانوا يسمونه الجودى ويعتقدون أن سفينة نوح رست
عليه.. قلت ربما يتشابه الاسم ولكن يقولون: إن الجودى الذى رست عليه السفينة
هو جبل أراوات الواقع فى أقصى شمال العراق وأقصى جنوب تركيا..!

قال: كيف تأكدوا من هذا..

قلت: وكيف تأكدتم هنا..

فرد ساهماً: كلها أقاويل..

بعد قليل من الوقت - الذى يعادل هنا مسافة ٤٥ كيلو مترا - «نزلت» السيارة
«الجيمس» القوية من الطريق الممهّد إلى حيث تتناثر بعض البيوت الأسمنتية فى
مدخل أحد الوديان الواسعة وقال قائدها: هذه توران الحديثة.

قلت.. وأين توران صاحبة الأثر

قال أيضاً: بعد قليل..

وتوقف أمام أحد البيوت من أجل «دليلنا» الحقيقي ونادى: يا خال.. يا خال..
ثم عاد وهو مكتئب قليلا «الشيبه مؤ بالدار».. لكنه حل المشكلة حين عرج على
إحدى خيام البدو المجاورة لبعض البيوت الأسمنتية ونادى: يا سُمير..

فخرج إلينا شاب نحيف: تفضلوا.. نتقهوى
لكننا كنا متعجلين تماما.

بدأنا الطريق «الفعلى».. حيث بدأت الحياة العصرية تنسحب من عيوننا،
والجبال الرواسى تقترب أحيانا وتبتعد مرات.. والسيارة صاعدة هابطة على طريق
«الرمل الناعم والحصى الغليظة» بينما تتحاضن فى الأفق أشجار النخيل والأثل
مكونة ظلالاً خضراء لسواد الجبال العالية..

طال الوقت.. وكنت أتعجله..

قلت لقائد السيارة: متى نكون فى «ضيافته»!؟..

قال باعتزاز: بعد قليل..

وكانت «خطوات» السيارة تقترب من «الطريق» إليه..

كانت عيناى تغوصان فى الرمل البعيد والجبال القريبة والمتناهية، وفى انفراجة
بين جبلين بدت صحراء النفود الهائلة من بعيد.. بدا «وجهها» فقط، بينما انهمك
سالم وسُمير فى حديث ودود عن أحوال الأهلىين.. فيما هبطت إلى دهاليز المخيلة..
كانت الأرض هنا ملأى بالخيام.. أو بالبيوت الطينية البسيطة.. فالمكان ملئ
بالنخيل والأثل والكأ.. وهو مشهور بكثرة عيونه وكانت القبائل لا تترك المكان
المثمر بل تقيم فيه إلى الأبد مثلما حدث مع قبيلة طيئ التى تستوطن هنا منذ أيام
ما يسمى بالجاهلية وحتى الساعة «سكان المكان الآن أقوام شمر وهى قبيلة متفرعة
من أحد بطون طيئ»..

كان سالم: شمرا، وسُمير أيضا.. وحتى التسمية الحديثة للمكان هى جبلا شمر
وهما المعنيان: أجا وسلمى منذ التاريخ القديم.. قلت لنفسى.. جغرافية المكان فقط
هى التى اكتسبت صفة الخلود..

وقلت.. ها أنذا أخيراً فى الطريق إليه

شيخ ابتسامه يطيف بقمى.. حين تذكرت صديقاً لى و «..لنا» من أصدقاء الزمن الجميل» كان شاعراً أيضاً.. وكنيناه - من باب السخرية - بالطائى، حيث كان مجرد «خروج» عملة صغيرة من جيبه بمثابة حدث مضى فى تاريخه «المعتم».. لكن هذا «الطائى» العصرى عاد مرة أخرى إلى مستقره من الذاكرة، لأعود بكليتى إلى هذه الصحراء الجبلية المحيطة..

وفى الطريق إليه.. بدأ شتيت من الذاكرة يتجمع.. حين «رضعنا» الفخر بأننا العرب أهل الكرم.. وكان هو الدليل «الدامغ» على هذه الأريحية، وكانت الدلائل على ذلك كثيرة..

- منها أنه لم يجد شيئاً ليقرى ضيفه فذبح حصانه - أو ناقته - .. فقلت فى نفسى.. ومن يفعل ذلك فى زماننا هذا لضيوفه؟! .. و.. مَنْ يذبح لنا اليوم حصانه فى هذا القفر البهي؟!

- ومنها ما شاع عن أنه كان يصنع الطعام - أو تصنعه له النساء - ولا يجلس إليه إلا إذا كان معه جليس..

- ومنها أنه لم يكن يرضى بالرضاعة وحده، وهو ما شاع فى بعض الأقوال والروايات المحلية المتناقلة عبر الأجيال من أنه كان لحاتم أخ أغنى منه، وكان كريماً يعطى أكثر من حاتم فأتى أمه يوماً وقال لها: مَنْ أكرم، أنا أو حاتم؟ فقالت الأم: بل حاتم، فقال: أنا أعطى أكثر منه، وقد فعلت كذا وكذا وهو مالم يفعله.. فبأى شىء هو أكرم منى؟ قالت الأم: كان حاتم وهو رضيع لا يرضع ثديى إلا إذا أتيت بطفل يراضعه الثدي الآخر، بينما أنت كنت ترضع ثدياً وتمسك بالآخر.. .. وغير ذلك الكثير..

ولكن السؤال الموقر أحيانا كان يقول:

لماذا يحتفى الإنسان بالكرم؟..

هل لأنه صفة «نادرة» من صفات بنى البشر؟..

ثم.. هل كل ما حدث من ذلك الرجل كان حقيقياً.. أو أن المبالغات التي تكتسبها القصص الواقعية أحياناً وهي تنتقل من جيل لآخر هي السبب وراء تلك الهالة السرمدية التي تحيط برأسه الغامض..

أو أن ذلك كان حقيقاً وما وصلت وقائعه إلينا ليس إلا أخباراً قليلة لما كان يصنع..؟!..

هل يصل الإنسان مثلاً إلى حدٍّ أن يُقرى ضيفه بحصانه، وهو الحيوان الأحب والأقرب للنفس في ذلك الزمان وعنوان الفروسية..؟!..

أو هل يصل هذا الحد إلى درجة أن يفضل الرجل ضيفه على نفسه وأهله وولده.. حتى في أقسى الظروف المادية والمكانية..؟!..

المسألة هكذا تتسع..

ولكن الكثير مما قرأت كان يشير إليه ويؤكد أنه من أفعاله قبل أن يكون من صفاته..

إن.. لا مجال للشك أو للتأويل

وإذن نحن هذه المرة.. في ضيافة الرجل.. أو حاتم الطائي..

حاتم الذي مازلنا نضرب به المثل، أو نشبه به كل ذي سخاء..

حاتم الذي ذهب ماله وبقيت أفعاله..

هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج وجده امرؤ القيس بن عدى بن أخزم «وهو ليس الشاعر المشهور»، وأمه غنية بنت عفيف بن عمر التي يُعزى اكتساب حاتم لصفة الكرم منها، إذ كانت من أسخى الناس فاتهمها إخوتها بالإسراف ومنعوها مالها حتى تمسك عن الإسراف، فأنتها امرأة ذات فاقة فأعطتها غنية كل ما ترك لها من مال لتقتات به..

أما نسبه فينتهي إلى قبيلة طي.. أشهر قبائل العرب قاطبة والتي يقول عنها ابن حبيب في «المحبر» وابن حزم في «الجمهرة»: إنها إحدى جماجم العرب، وكانت من أقوى القبائل العربية، فيما يذهب الدكتور جواد علي في «المفصل» إلى

أن العرب عرفوا عند الفرس وعند بنى آرم بتسمية هي (TAYAYO)، و (TAIY)، أما علماء التلمود من العبرانيين فأطلقوا عليهم لفظة «طئ ع ا»، أو طيعا، وطيايا طياية، وأصل الكلمتين واحد على ما يظهر وأخذ من لفظة طيئ اسم القبيلة العربية الشهيرة على رأى أكثر العلماء، وطيئ هو «جُلْهُمة» بن أدد بن زيد بن يشجب وعند الهمذاني زيد بن عمر - بن عريب - وفي الأغاني ابن مالك - بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر - وهو هود النبي عليه السلام.

وتذهب معظم المصادر إلى أن طيئاً سُمي بطيئاً لأنه أول من طوى المنازل أو المناهل أى جاز منهاً إلى منهل آخر ولم ينزل.

وزهب البطليوسى إلى أنه إنما اشتق طيئ من طاء يَطْوُ إذا ذهب وجاء والطاءة: بُعد الذهاب فى الأرض وفى المرعى، وربما فى هذا الاشتقاق علاقة بهجرة طيئ من مساكنهم الأولى باليمن إلى شمال الجزيرة بالجبليين إذ يقرر البكرى فى «معجم ما استعجم» أنه بين الجوف - منازل طئ باليمن وبين الجبليين حيث هاجروا واستقروا - مسيرة شهر..

والجبلان هما أجا وسلمى ويقعان فى منطقة حائل وقد ظلت منازل طيئ بهذا الموضع لا تتغير منذ الجاهلية وحتى الآن.

وذكر الزمخشري أن «أجا وسلمى جبلان عن يسار سميراء (الجبل الأسمر) وقد رأيتهما شاهقين»، ويقول الدكتور جواد على: إن فى نجد - وهى هضبة يبلغ ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم - منطقة جبلية تتكون من الجرانيت، يقال لها جبل شمر وهو موضع من مواضع طيئ التى اشتهر أمرها قبل الإسلام اشتهاراً كبيراً وقد عرفت قديماً بجبلى طيئ وتتألف من سلسلتين يقال لأحدهما أجا وللأخرى سلمى.

ولتحديد موضع حاتم الطائي، ذهبنا وراء ياقوت فى معجم البلدان، فى ذكره لقرى أرض طيئ، والتى ذكر منها سبعة وعشرين قرية، منها توران وقال عنها: «قرية من أجا لبنى شمر من بنى زهير وبها قبر حاتم الطائي...».

هى توران إذن..

كنت فى الطريق الذى بدأت غداً وصولى إلى حائل، كان دليلى سالم سلامة الرفاع الشمرى من أهل «الديرة» وكانت نوعية سيارته القوية هى الوحيدة التى تستطيع اجتياز وعورة الطريق، خاصة بعد وصولنا لمنطقة القرية الجديدة توران التى تقع على الطريق المسفلت الحديث، أما القرية المقصودة «فتدخل» فى الوديان مسافة لا تقل عن عشرين كيلو متراً تمر فيها السيارة على طريق «والتسمية هنا اعتبارية» رملية «ثقيل» مختربة ودياناً متعددة فيما نحن محاطون بسلسلة جبال أجاً، ذكر منها ياقوت ستة وسبعين جبلاً، وعلى رغم «رملية» المكان و«جبليته» إلا إننى لاحظت وجود نخيل كثير أحياناً، وأحياناً أخرى زروعاً مختلفة ومواضع للماء، وصدقت ياقوت فى ذكره أن للطائيين فى بلادهم هذه اثنتين وخمسين مائة «أو عين ماء».

إذن كان حاتم يعيش فى مكان وارف كثير الخيرات، وهو ما ساعده على «القيام» بكرمه وإقراء ضيوفه، حيث أكدت كل المصادر القديمة على أن وديان بلاد طى مثمرة وخضراء وذات عيون منذ استوطنوها، أى منذ أيام الجاهلية، ولا زالت على حالها، وإن طالتها بعض التغيرات الأركيولوجية..

فى طريقنا أشار سُمير عبد الله الشمرى الذى «يحفظ» المكان - عن ظهر قلب - لسالم أن يتوقف بجوار أحد المنازل الرعوية البسيطة لينادى على أحد الناس، فجاء عبادة نزال الشمرى وهو ابن المنطقة الأقرب لآثار حاتم ويعرف الكثير فصاحبنا الرجل، وأصبح هو قائد السيارة - بالتوجيه والإشارة...!!

عند وادٍ فسيح لم يعرف أى من مرافقى اسمه قلت لعله الأيهم، أو أكبره، أو بولان أو شطنان، أو بكر، أو الأجيران، أو ذو الجليل، أو الكشقر أو السبعان «وهى الأودية التى ذكرها ياقوت الحموى».. لا يههم.. الأهم أننا الآن فى المكان الذى يتفق القدماء من النسابين، وأهل المنطقة حالياً على أنه موضع قصر حاتم الطائى، وموضع قبره..

حين تجول بصرى فى المكان وجدته «محصناً» بالجبال، أما الوادى الذى نقف

عليه - أو فيه - فتريته طيبة، وذات زرع ومياه، قلت لأحد مرافقي.. وما يدرينا أن هذا المكان لحاتم نفسه، فردوا بما يشبه «العزف الجماعي»: كيف.. كلنا يعلم ذلك، فقييلتنا شمر هي أحد فروع طيئ ولم ينتقل أحد من المكان، من الممكن أن يكون البعض قد ذهب إلى المدينة «يقصدون حائل» أو إلى القرى المجاورة أو حتى المواضع البعيدة، لكنهم حتماً يرجعون.. دائماً يرجعون لأنهم يتركون هنا منازل لهم وأراض ونخيل يحرصون على متابعتها..

قلت لكن القصر مبنى من الطوب اللين.. رد أحدهم بأن جعلنى أدور حول الموقع ويشير إلى أسفل الجدار حيث كانت تظهر الصخور الضخمة المتراصة من بين «الطلاء» الطيني قائلاً:

- هذا هو أساس القصر، وأما ما كان يتهدم منه فإن أهل القرية كانوا يرفعونه بالطوب اللين، وكان المكان مستخدماً إلى وقت قريب، ربما تم تركه منذ عشر سنوات أو أكثر، حينما طُلب منا أن نترك القرية إلى موقعها الجديد فى الخارج «يقصد بجوار الطريق المسفلتة الحديثة» حيث الخدمات التى وفرتها الحكومة، وعلى رغم ذلك فما زال للبعض هنا نخيل ومراع للإبل والأغنام «رأيت بالفعل بعض الإبل المارة بجوار أحد الجدران المتهدمة» فى وادٍ يسبق وادى حاتم الطائي.. قلت.. ولكن القبر.. أين القبر..؟

«ذهبنا إليه وكان أهل القرية قد ابتنوا حول المقبرة سوراً كبيراً» قالوا ها هو ذا، وكانت الشواهد لا تزيد عن حجر «عريض» مغروس إلى موضعين تحدداً بحجارة صغيرة، أشار سُمير إلى أحدهما قائلاً: هذا قبر زوجته فريدة، وهذا قبره، قلت أعلم من كتب التاريخ أن حاتماً قد دُفن هنا، لكنى لم أعلم بخبر زوجته والتي لم تذكر المصادر حتى اسمها فقال نحن نعرف ذلك «أباً عن جد» وأضاف أن أهل طيئ يحفظون - جيلاً بعد آخر - ويحفظون أجيالهم - كل ما يخصهم من تاريخ حتى لو «وصل» ذلك للعصر الجاهلي.. قلت ولكن التحديد يدل على طول غير عادى قال: «كانوا كذلك»، فى اللحظة التى دخل فيها سالم وعبادة «وكانا يطاردان

ثعبانا ظهر لهما فجأة في الخارج» واشترك عبادة - وهو الأقرب مكانياً من الجميع - في الحوار وقال: إن هذا قبر حاتم «وأشار إلى نفس الموضع الذى أشار إليه سمير» أما هذا «يعنى القبر الآخر» فهو لأمه واسمها غنية.. واختلف الاثنان فيما قمت بتصوير القبرين «الطويلين» وأنا أنظر بين اللحظة والأخرى حوالى لأن المكان مليئ بثقوب كبيرة لا يمكن أن تكون إلا «مواطن» للثعابين..

فى الخارج تلمست بعض الجدران.. شممت فيها رائحة العصر الحديث - الذى يعنى هنا أقدمية لا تقل عن مائتى عام - لكن «جذور» الجدران، أو بداياتها من أسفل كانت مبنية بالفعل من الجرانيت القوى «المتوفر» على بعد خطوات من أى جبل قريب، وهو الجرانيت الذى أثبت تصديه لعوامل التعرية الزمنية الطويلة فى أماكن عديدة من العالم..

قلت لنفسى.. إذن هنا كان حاتم.. وهنا كان يُقرى الضيف ويسهر على راحته ويقول:

لقد كنت أطوى البطنَ والزاد يُشْتَهَى مخافةً يوماً أن يُقال لئيمٍ
وعبثاً تخيلت الرجل، لكن الشكل العام يمكن «تصنيعه» فى المخيلة بعيداً عن
الاعتماد على «خرافة» طوله المبالغ فيها، فإن فوارس العرب القدماء كانوا يعنون
بمظهرهم وبخيولهم، ولا غرو فى ذلك فإن لقب الفارس كان صعباً و «مكلفاً» فى
الجدد والدم، بالإضافة إلى أنه شاعر فحل، والشعراء فى كل العصور يحسنون
الهيئة - حتى فى حال فقرهم - فما بالنّا وهذا أحد سادة قومه وأكثرهم مالاً أفناه
فى البذل.. البذل الذى ذهب بشهرته فى الآفاق.. والأزمنة، وتناقلت حكاياته
الأجيال..!

فمما قيل: إن الخليفة المأمون جلس يوماً - وكان قد أعطى «من المنح» مئات
الآلاف من الدنانير - وقيل مليون دينار - فقال وعلى وجهه ابتسامة عريضة
لجلسائه: مَنْ أكرم أنا أو حاتم؟!.

فقال بعض مَنْ فى المجلس: أين حاتم من عطائك يا أمير المؤمنين، إن ما أعطيته
اليوم فقط لم يره حاتم فى كل حياته، فضلاً عن أن يكون قد مَلَكه أو أنفقَه.
فسرَّ المأمون بذلك لكن رجلاً من الجلساء قال:

لا يا أمير المؤمنين، أعزك الله، أنت كريم ولكن حاتماً أكرم منك.

فقال المأمون: كيف؟!

قال الرجل: حاتم كان يعطى كثيراً من قليل وأنت تعطى كثيراً من كثير، وحاتم كان يعطى لمستحق وأنت تعطى لغير مستحق، وحاتم كان يعطى من حُرِّ ماله وأنت تعطى من بيت مال المسلمين، فهو أكرم منك.

فقال المأمون: صدقت.

... كان حاتم يقول الشعر فى يسر وعذوبة، لكن شعره «ضاع» فى صفة كرمه ولم يُعتدَّ به بين أصحاب المعلقات، خاصة وأنه جاهلى عاش فى القرن السابق على البعثة، ولم يدرك الإسلام، ولكن قيل فيه شعر كثير، ومن ذلك ما قاله العريان بن سهلة النبهانى أحد شعراء الجاهليين الذين نسبوا لأمهاتهم:

إنى إلى حاتم رحلتُ ولمْ يُدْعَ إلى العُرفِ مثلهُ أحدُ
الواعدُ الوعدُ والوفىُّ به إذ لا يفى مَعشَرٌ بما وعدوا

ومما كان معروفاً عن حاتم أنه كان يُشعل ناراً على رأس أحد الجبال «قيل إنه جبل سميرا» ولكنه يقع بجوار حائل أى ما يزيد عن أربعين كيلو مترا من الطريق الحديث فقط، وليس من هنا بين الأودية والشعاب ولم يكن منطقياً أن يشعل حاتم هذه النار العظيمة كل ليلة ليراه المسافرون ذوو الحاجة، فيسير بهم خدمه إلى موضع داره «هنا» ليصلوا بعد يوم أو اثنين على الأقل، ولكن المنطق يقول: إنه تخيّر إحدى القمم القريبة والمشرقة على الوادى، بحثت بعينى حتى وجدت بقايا أطلال على رأس جبل عال، فقال أهل الديرة المرافقين لى إنها بقايا مسجد، قلت ولم ابتنوه هناك بينما كان من الممكن أن يبتنوه على الأرض حتى لا يكون هناك عناء للمصلين، فقال: سمعنا الحكاية هكذا..

وأعتقد جازماً أن مثل هذا المكان هو الأقرب إلى الظن بكونه «موقد» نار حاتم طيى حيث يقترب من داره - أو دياره - بشكل حاسم، وهو ما يميل إليه أى منطق صحيح.

كان الهدوء يغلف المكان.. هدوء لا تقطعه حتى أصوات الريح ولا ثغاء الماعز ولا سقسقة العصافير.. هدوء كان يبتلع المكان إلا من أصوات أقدامنا وهى تدق

على الحصباء ولكن المكان - حتماً - لم يكن كذلك فى القديم.. كان ثمة صخب يومى من حركة القبيلة أو «تحركات» أحداثها.. وكان الصراع دائماً بين الجميع.. بين القبائل أو بين الأفراد.. كانت الحروب كثيرة، منها ما هو مع عبس البعيدة - بعض الشيء - ، ومنها ما هو مع محارب، وضبة وبكر بن وائل وهى قبائل شرسة.. لم يكن يرضيها إلا سفك الدماء والاستلاب اليومى.

وفى علاقة طئى ببكر بن وائل، قال أبو عبيدة «أغار حاتم طيئ بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوه وانهزمت طيئ وقتل منهم، وأسّر جماعة منهم، وكان فى الأسرى حاتم الطائي فبقى موثقاً عند رجل من عنيزة فأتته امرأة منهم - اسمها غالية - بناقة فقالت: أفصد هذه.. فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت، فقال حاتم هكذا فزدى «فصدى»، فصاحت النساء وشتمنه فرد عليهن «ما أنتن يا نساء بكرام ولا ذوات أحلام» فذهب قوله مثلاً.. ثم قال:

كذلك فصدى إن سئلتُ مطيتى دم الجوف إذ كل القصاد وخيمُ
ويعنى الفصاد هنا أن بعض العرب كانوا يشترطون أحد أوردته البعير للحصول على كمية من دمه يعالجونها بالنار ويأكلونها إذا اشتهوا اللحم.
ولم يكن حاتم يفعل ذلك.. حتى وإن كان أسيراً مأموراً..
وإنى أستحى من الأرض أن أرى الناب تمشى فى عُشباتها الغبر
وهكذا كان يبذل ماله..!

وذاع صيته فى أرض العرب والعجم حتى وصل إلى أسماع ماوية بنت عفر من أميرات العرب وكانت ذات جمال وحسب ومال، وذكر ابن الزبير حديث جماعة من طيئ قال: إن ماوية نذرت نذراً لا يخطبها كريم إلا تزوجته ولا يخطبها لثيم إلا جدعته، فتناذرهما الناس فقدم عليها من الجبلين - جبلى طيئ - أوس بن حارثة بن لأم الجدبلى، وزيد الخيل النبهانى، وحاتم الطائي، فأخذ كل منهم يذكر من فعالة ما جرأه على خطبتها، وفى هذا الشأن أوس بن حارثة يقول:

أماوى لم يخطبك من حبى مذجج كأوس بن لأم أو كزيد وحاتم
لكن ماوية وجدت سبباً يمنعها عن الموافقة لكل من تقدم لخطبتها من سادات

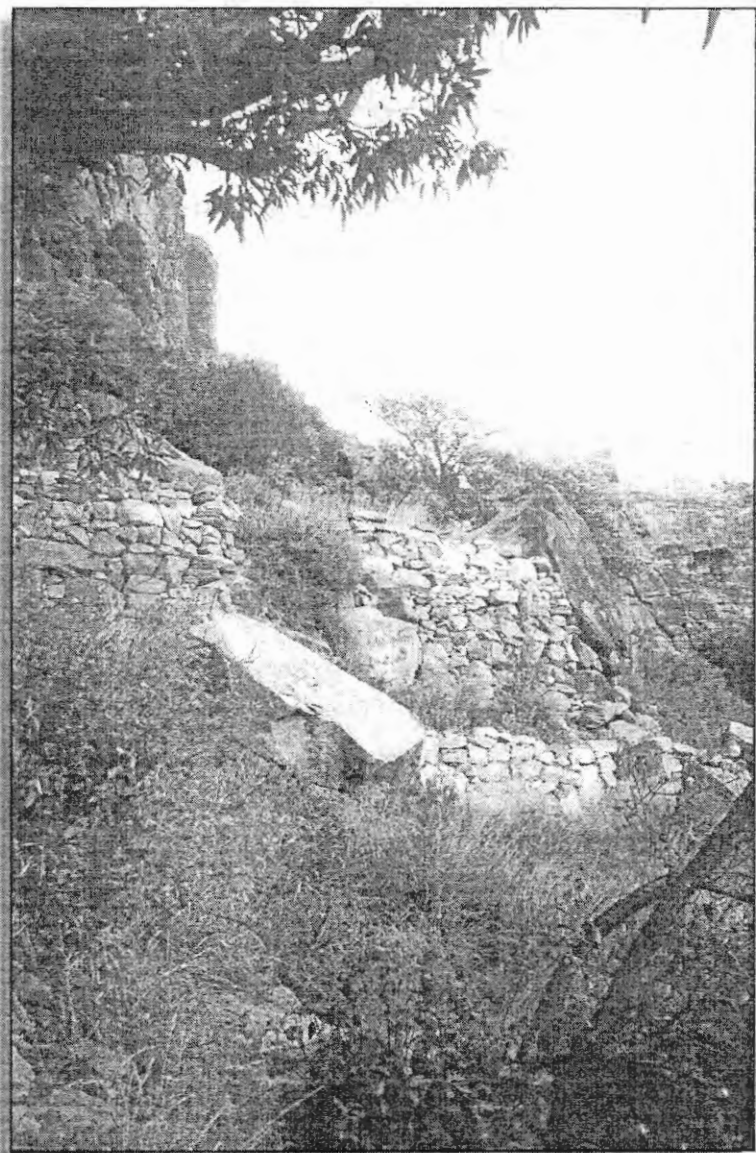
العرب، هؤلاء، وغيرهم، إلا حاتم الطائي فإنها وجدته أكمل أهل زمانه خلقاً وأخلاقاً فرضيت به زوجاً لها، لكنها اشترطت عليه أن يطلق زوجته فأبى حاتم ذلك فافترقا، ثم توفيت زوجة حاتم، فعاود خطبة ماوية فوافقت فتزوجا، على رغم ما قيل لها من أن حاتم متلاف للمال، فاختارته وضعت مالها إلى ماله، وأنجبت له سَفانة وعدى، وعلى رغم ذلك فإنها - أى ماوية - لم تستوعب هذا الكرم الحاتمي العريض فحاولت صده ومنعه فقال:

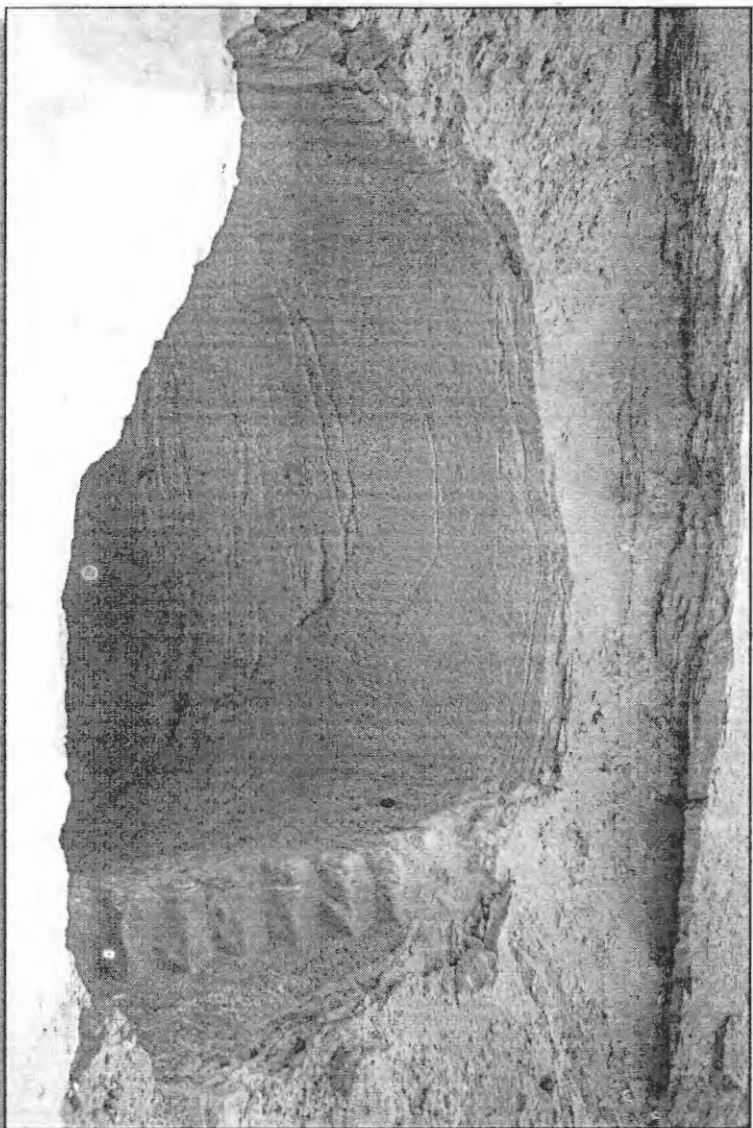
وعاذلةً هَبَّتْ بليلى تلومني وقد غاب عيوقُ الثريا فعردا
تلوم على إعطائي المال ضِلَّةً إذا ضنَّ بالمال البخيل وصردا
ومضى فى كرمه «الحاتمي» حتى دراهمه الأخيرة..

.. فى هذا الموضع.. وذلك المكان ذى الهندسة المعمارية البسيطة والبعيدة عن الجماليات الاستثنائية جرت أحداث ذلك الكرم «التاريخي».. الكرم الذى ألقى بصاحبه بعيداً عن سجل الشعراء، واكتفى بتخليده فى سرمدية المكان الواقع فى منطقة التباين الملحوظ بين خضرة الخصب الخلابة وبين الصخور الجرانيتية العالية التى تطل عليها من جميع الجهات، وربما كان ارتفاع هذه الصخور ألف قدم، وهى تنحدر عمودياً إلى سطح الوديان الرملية بحيث تذكر الناظر إليها بواى الماس حيث تعيش الحيات، وحيث رمى التجار اللحم لطيور الرِّخ من أجل جمع الماس فى قصة «السندباد البحرى»!!

فى الساعة الرابعة عشرة أقفلنا عائدين، مارين ببعض العيون المائية القديمة التى ذكر لنا الشيخ محمد بادى العضيباوى أنها كانت صالحة للشرب أيضاً، وأنهم كانوا يدركون عذوبة المياه من الحشرات التى تسبح فيه وبها يميزون طيبة المياه، إذ لا شئ فى الصحراء أكثر رغبة من الماء كامل الصفاء الخالى من الحياة الحيوانية. وبين الحين والآخر.. كانت الهجن تمر أمامنا بانسياب مطمئن وهى تنظر إلينا أحياناً بعيون أقرب إلى عيون الغزلان وبرشاقة عفوية مميزة، وكانت الرمال البيضاء - المليئة بملح البارود أو نترات البوتاسا - تمتد أمامنا لعدة كيلو مترات ثم تغيب تحت الصخور الملقة على الأرض أو تلك المناطحة لذرى السحاب.

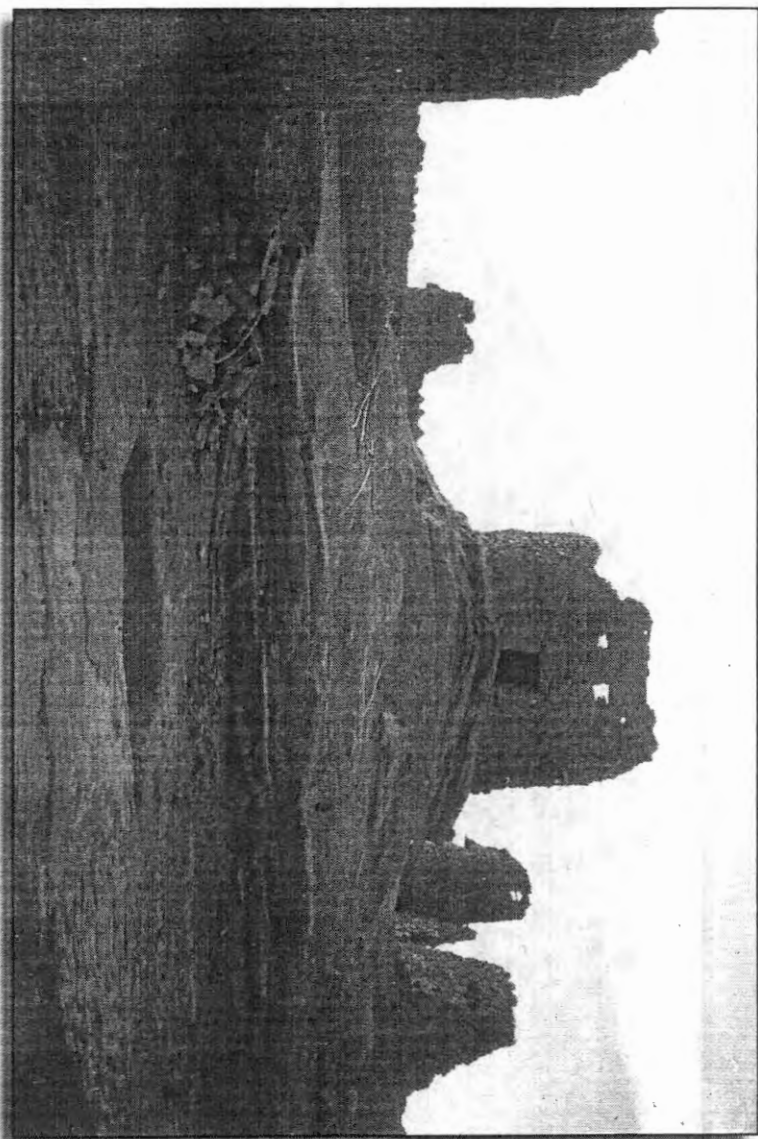
بقايا قصر حاتم الطائي ومقبرته.



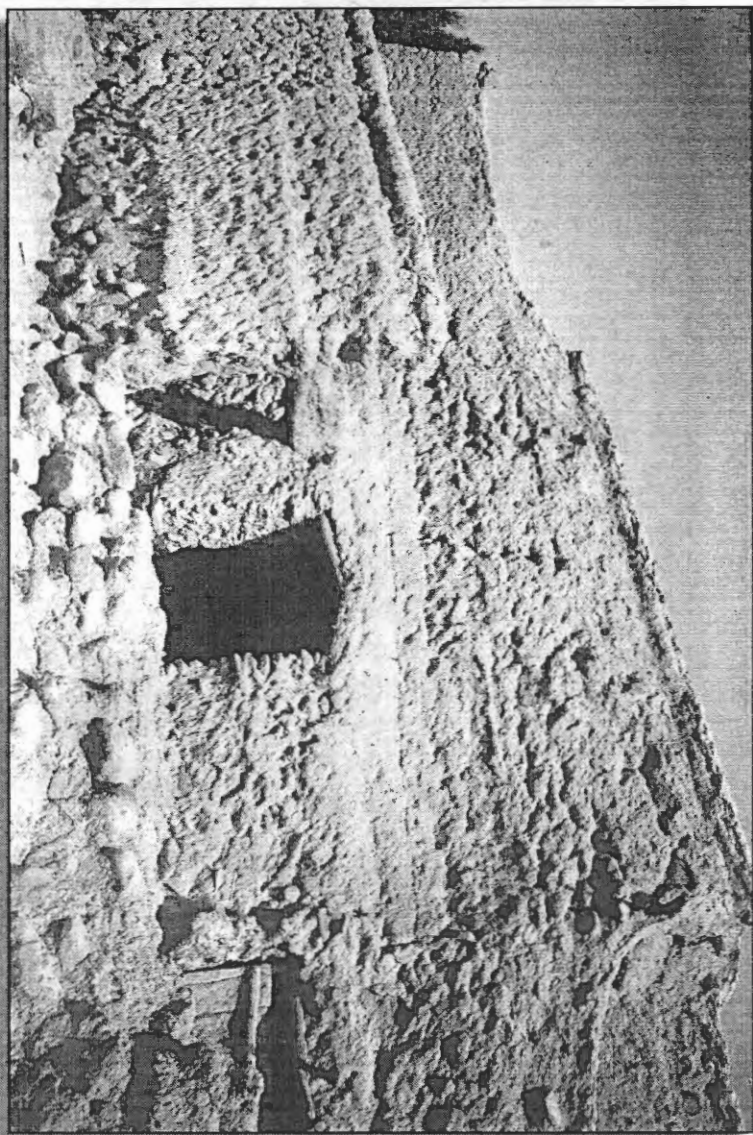


من آثار الجزيرة العربية القديمة بين شمر ويقال إن حاتم الثاني حفرها.

أبنية قديمة أعلى الوادي الشرقي على منطقة حاتم الطائي.



بقايا «قصر» حاتم الثاني.



بقايا ما يقال إنه قصر حاتم الطائي.



للكاتب:

- قراءات في الشعر المعاصر «ملاحق نقدية» .
(الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥).
- مكتبة الأسرة (١٩٩٨).
- انتقالات الصدى «شعر» .
- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .
- قمر لنا فذة الظلام «شعر» .
- مكتبة الأسرة ٢٠٠٤ .

تحت الطبع:

- هذا.. حصاد الأسئلة «شعر» .
- آثار أقلام على الرمال !
- «دراسة في كاتبات القصة السعوديات» .
- هارون الرشيد .
- بين الحقيقة والأسطورة «دراسة» .